مادة: الأدب الصوفي الجزائري **السنة الثالثة ليسانس/ أدب جزائري**

الدرس رقمّ 07 **أستاذ المادة: بن زياني**

أعلام الأدب الصوفي الجزائري: أبو مدين شعيب التلمساني

مقدمة:

في حديثنا عن نشأة الشعر الصوفي الجزائري وموضوعاته، وردت معنا أسماء عديدة من أعلام الأدب الصوفي الجزائري، خلّفت لنا تراثا أدبيا صوفيا، تكشف عنه مادة أدبية قيمة ما تزال لم تلق العناية الكافية من قبل الدارسين، ومن أهم هذه المصادر ما يلي:

- **تعريف الخلق برجال السلف " للحفناوي "**
- **التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات"**
- **بغية الرواد" ليحي بن خلدون"**
- **نفح الطيب" للمقري"**
- **عنوان الدراية" للغبريني"**
- **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر" لمحمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان".**
- **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة" ليحي بوعزيز"،**
- **أعلام الفكر والتصوف بالجزائر" لعبد القادر بوعرفة الهلالي"**

أبو مدين شعيب التلمساني: (نشأته وأهمّ موضوعاته الصوفية):

1) **حياته ونشأته:**

هو أبو مدين شعيب بن الحسين التلمساني المولود حوالي سنة 509هـ، أحد الأعلام البارزين في التصوف، وقد ذاع صيته و كان له أثر كبير في الحركة الصوفية في المشرق والمغربي العربي،كانت وفاته حوالي سنة 594هـ، وقد ورد اسمه ضمن أغلب كتب التراجم.

أبو مدين شعيب دفين العباد في تلمسان ضريحه بها مشهور مزار، له إنتاج غزير: منه ديوان شعر بعنوان (المنن الربانية الوهبية في المآثر الغوثية الشعيبية)،إلى جانب عديد القصائد، وكذا الآثار العلمية، ومعروف عنه أنه بارع في الشعر وقول الحكمة.

2)نماذج من أدبه الصوفي:

إن الشيخ أبا مدين شعيب من أقطاب التصوف البارزين في الجزائر، ومن بين نماذج شعره الصوفي ما يلي:

أ)الوقوف على الأطلال: تأثر الشيخ أبو مدين شعيب بشعراء الجاهلية وصدر الإسلام، فسار على نهجهم في نظم القصيدة، ويتجلى ذلك في معالجته موضوع الوقوف على الأطلال في أغلب قصائده، فهو يتشوق إلى لقاء المحبوب والاجتماع به ورؤيته، فيولّد هذا الاشتياق في نفسه معاناة تدفع به إلى الرّحلة والمرور على ديار المحبوب، فيقول:

مَتَّى يَا غَرِيب الحَيّ عَيْنِي تَرَاكُمْ وأسْمَعُ من تلكَ الدّيَارِ نِدَاكُمْ
وَيَجْمَعُنَا الدَّهْرُ الذِي حَالَ بَيْنَنَا وَيَحْظَى بِكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي تَرَاكُمُ
أَمُرُ على الأَبْوَابِ من غيرِ حَاجَةٍ لَعَلّي أَرَاكُمْ أوْ أرى من يَرَاكُمْ.

ب)الغزل: وإذا عدنا إلى غزل أبا مدين شعيب وجدناه غزلا شبيها إلى حدٍّ كبير بغزل الشعراء العذريين نابعا من تجربة حبٍّ صوفي إلهي، جسد فيه بُعْدَ الغياب، وعبر عن اعتزاله الناس طمعًا في الوصول إلى المحبوب، فيقول:

فَلَوْ كان لي قَلْبَانِ عِشْتُ بِواحدٍ وأتْرُكُ قَلْبًا في هواكِ يُعَذَبُ
ولكنّ لي قلبًا تَمَلَكَهُ الهَوى فَلاَ العَيْشُ يَهْنَا لِي ولاَ المَوْتُ أقْرَبُ

وقد تملك أبا مدين شعيب عاطفة المحبّة، حتى فَنَى في محبوبه، وَفَقَدَ عقله واشتهر بين النّاس بالمجنون، وأصبح مَضْرَبُ الأمثال في الحيّ، فيقول:

تَسَمَّيْتُ بالمجنون من ألَمِ الهوى وصارتْ بي الأمثالُ في الحيّ تُضْرَبُ.

ج) الرّحلة: عالج الشعراء الصوفية موضوع الرحلة، وقلّدوا شعرا الجاهلية في بناء القصيدة، وإذا عدنا إلى ديوان الشيخ أبو مدين شعيب، فإنّنا نجد موضوع الرّحلة قليلا إذا ما قيس بالموضوعات الأخرى. وأحسن قصيدة تحدّث فيها أبو مدين شعيب عن الرحلة، هي قصيدته المشهورة (رَكِبْتُ بَحْرًا من الدموع). وهي رحلة طويلة شاقة محفوفة بالمخاطر، وقد عانى فيها الشيخ أبو مدين شعيب كثيرا، فيقول:

رَكِبْتُ بَحْرًا من الدّمُوعِ سَفِينُهُ جِسْمِي النَحِيلُ
فَمَزَّقَتْ رِيحُهُ قُلُوعِي مُذْ عَصَفَتْ سَاعةُ الرَّحِيلِ

د) الخمرة الصوفية: لم تخل أشعار الصوفية من ذكر الخمرة، فهي : عندهم رمز من رموز الوجد الصوفي"، وهي تحقق لهم الوصول إلى الحضرة الإلهية، يقول الشيخ أبو مدين شعيب في تفاوت الصوفية في الوصول إلى تذوق الخمرة الإلهية:

قُمْ يَا نَدِيمي إلى المُدامَةِ واسْقِنَا خَمْرًا تُنِيرُ بِشُرْبِهَا الأَرْوَاحُ

أوْ مَا تَرَى السّاقِي القَديمَ يُدِيرُهَا فَكَأنّها في كأسهَا المِصْبَاحُ

هِي أَسْكرَتْ في الخُلْدِ آدَمَ مَرَةً فَكَسَتْهُ مِنْهَا حُلَّةٌ وَ وِشَاحُ

والخمرة الصوفية مصدر من مصادر معرفة الحقيقة الإلهية، بسبب من أسباب التجلّيات النورانية، وبشربها يغيب الصوفي عن الحضور الذاتي وتبقى روحه متعلقة بالحضرة الإلهية.

هذه أهمّ وأبرز الموضوعات الصوفية التي عالجها الشيخ أبو مدين شعيب في قصائده، وما تضمنته من معانٍ ورموزٍ روحانية ميّزت شيخنا عن باقي الشعراء الصوفيين.